قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه الآية

قول النظار الفقعسي يقولون هذي ام عمرو قريبة دنت بك ارض نحوها وسما

ألا انما بعد الحبيب وقربه اذا هو لم يوصل اليك سواء ووجدت بعض اهل الادب

يظن ان ابراهيم ابن العباس سبق الى هذا المعنى في قوله كن كيف شئت واني شئتا

وابرق يمينا وارعد شمالا نجى بك لومك منجى الذباب حمته مقاديره ان ينالا

حتى رايت مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى فاحسن غاية الاحسان

اما الهجا فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل فاذهب فانت طليق عرضك انه

عرض عززت به وانت ذليل

مجلس اخر تأويل اية

ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف عم قال رب السجن احب الي مما

يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فقال اذا كانت

المحبة عندكم هي الارادة فهذا تصريح من يوسف عم بارادة المعصية لان حبسه في

السجن وقطعه عن التصرف معصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو في القبح

يجري مجرى ما دعي اليه من الزنا وقوله من بعد والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن

واكن من الجاهلين يدل على ان امتناعه من القبيح مشروط بمنعهم وصرفهم عن كيده

وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه صرفوا النسوة عن كيده

او لم يصرفن

الجواب

قلنا اما قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه ففيه وجهان من التاويل اولهما ان المحبة متعلقة في ظاهر الكلام بما لا يصح في الحقيقة

ان يكون محبوبا لان المراد الان السجن انما هو الجسم بعينه والاجسام لا يجوز ان يريدها

وانما يريد الفعل فيها والمتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الافعال

فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها فادخال القوم يوسف

عم الحبس او اكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته

والمشاق التي تناله باستيطانه كان طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظالما لو

اكره مومنا على ملازمة بعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعل المكره قبيحا

حسنا وان ما ظنوه فعل المكره قبيحا وهذه الجملة تبين انه لا ظاهر في الآية تقتضي

ما ظنوه وانه لا بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم ان يقدروا ما

يرجع الى الحابس من الافعال الا ولنا ان نقدر ما يرجع الى المحبوس واذا احتمل الكلام

الامرين ودل الدليل على ان النبي صلعم لا يجوز ان يريد المعاصي والقبائح اقتضى

المقدر المحذوف بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مريده ومحبه فان

قيل

قيل كيف يجوز ان يقول السجن احب الي مما يدعونني اليه وهو لا يحب ما دعوه اليه جملة

ومن شان مثل هذه اللفظة ان تدخل بين ما وقع فيه اشتراك في معناها وان فضل البعض

على البعض قلنا قد يستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع وان لم يكن في معناها اشتراك

على الحقيقة الا ترى ان من خير بين ما يحبه وبين ما يكرهه جاز ان يقول هذا احب الي

من هذا اذا كان لا يحب احدهما جملة وانما يسوغ ذلك على احد الوجهين دون الاخر من

حيث كان المخير بين الشيئين لا يخير بينهما الا وهما مرادان له او مما يصح ان يريدهما فموضوع

التخيير يقتضي ذلك وان حصل فيما ليس هذه صورته والمجيب عن هذا متى قال احب

الي من كذا كان مجيبا على ما يقتضيه موضوع التخيير وان لم يكن الامران على الحقيقة

يشتركان في تناول محبته ومما يقارب ذلك قوله تعم قل اذلك خير ام جنة الخلد

الاية ونحن نعلم انه لا خير في العقاب وانما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع

على اختيار المعاصي على الطاعات وانهم ما ركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات

الا لاعتقادهم ان فيها خيرا ونفعا فقيل اذلك خير ام جنة الخلد انما حسن ذلك

لاشتراك الحالين في باب المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعم خير مستقرا

واحسن مقيلا ومثل هذا يتاتى في قوله تعم رب السجن احب الي لان الامرين يعني

المعصية ودخول السجن مشتركان في ان لكل منهما داعيا وعليه باعثا وان لم يشتركا

في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في دواعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها واجرى اللفظ على

ذلك ومن قرا هذه الآية بفتح السين فالتاويل ايضا ما ذكرناه لان السجن المصدر فيحتمل

ان يريد ان سجني لهم نفسي وصبري على حبسهم احب الي من مواقعة المعصية ولا يرجع

بالسجن الى فعلهم بل الى فعله والوجه الثاني ان يكون معنى احب الي اي اهون عندي

واسهل علي وهذا كما يقال لاحدنا في الامرين يكرههما معا ان فعلت كذي والا فعل بك

كذا فيقول بل كذا احب الي بمعنى اسهل واخف وان كان لا يريد واحدا منهما وعلى هذا

الجواب لا يمتنع ان يكون انما عنى فعلهم به دون فعله لانه لم يخبر عن نفسه بالمحبة

التي هي الارادة وانما وضع احب موضع اخف والمعصية قد تكون اخف واهون من

اخرى واما قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن فليس المعنى على ما ظنه السائل بل

المراد متى لم تلطف بي بما يدعونني الى مجانبة المعصية وتثبتني الى تركها ومفارقتها صبوت

وهذا منه عم على سبيل الانقطاع الى الله تعم والتسليم لامره وانه لولا معونته ولطفه ما

نجى من كيدهن ولا شبهة في ان النبي عم انما يكون معصوما من القبائح بعصمة الله تعالى له

وان لم يخير مبتديا من غير ان يخير هذا احب الي من هذا اصح

علي ما ظنوه ويعتقدونه انهم كانوا كذا وقد قال الفخر اذا قلنا في كذا اصح